المحاضرة الثالثة: علم الاجتماع والمنهج العلمي

إن دراسة الظواهر الاجتماعية تخضع بالضرورة إلى تطبيق المنهج العلمي شأنها في ذلك شأن الظواهر الطبيعية وذلك لكون المجتمع والإنسان هما جزء من الطبيعة فضلا عن أن الظواهر الاجتماعية يمكن إدراكها بشكل مباشر أو غير مباشر وملاحظتها بدقة كما هو الحال بالنسبة للظواهر الطبيعية هذا مع الوضع بالحسبان الاختلاف في الأساليب المتبعة في دراسة كل نوع من هذه الظواهر (1) ولعل من أكثر الطرق المنهجية شيوعا في الدراسات الاجتماعية المنهج التاريخي، المنهج التجريبي، المنهج الوصفي، المنهج المقارن.

أولا: المنهج التاريخي:

يهتم التاريخ في الأساس بتسجيل أحداث الماضي وهو يعتبر إعادة التفكير في الماضي وكتابة الأحداث التاريخية بوعي كما يستخدم المنهج التاريخي للحصول على أنواع معينة من المعارف والمعلومات عن طريق الماضي بغرض دراسة وتحليل بعض المشاكل والقضايا الإنسانية وتكمن أهمية المنهج التاريخي في أنه يساهم في الكشف عن واقع وحياة وسلوك وأساليب اعتمادها السابقون وهو ما يتيح فهم الحياة الماضية للإنسان لاستكمال جوانبالتاريخ. (2)

1- نجلاء راتب: المرجع السابق، ص 122.

2- أحمد عبد المنعم وأخرون: خطوات البحث العلمي ومناهجه، المشروع العربي الصحة الأسرة ، جامعة الدول العربية، مصر، 2010، ص 40.

وتعتبر المعرفة التاريخية جزئية بحيث لا يمكن الحصول على معرفة للماضي بشكل تام لتعرضها للعوامل الطبيعية التلف والتزويد ويتم جمع البيانات في البحث التاريخي من خلال مصدرين هما:

1- المصادر الأولية: وهي المصادر التي تكون أصلية: مثل أسماء الكتب والرسائل والأطروحات، أو يكون شاهد عيان حضر الواقعة التي بصدد دراستها وتحليلها.

2- المصادر الثانوية:وهي المصادر التي تمثل نسخة عن الوثيقة الأصلية أو تقرير مكتوب لشخص أجرى مقابلة معشاهد عيان (3)

ويمر المنهج التاريخي بعد مراحل تبدأ باختيار المشكلة البحث التي هي خطوة ابتدائية مثل باقي مناهج البحث العلمي وهي ذلك جمع البيانات والمعلومات اللازمة من مصادرها الأصلية والثانوية على يد سواء، وتخضع هذه المصادر لعملية تسمى نقد التاريخ وهي على نوعين:

أ- نقد الخارجي: هنا على الباحث أن يتأكد من صدق الوثيقة سواء من حيث مظهرها وأصالتها أو التأكدمن زمانها ومكانها، هل هي أصلية أم مزورة هل المخطوط له مؤلف مجهول، هل به إضافات.

ب- نقد الداخلي: بعدما يتأكد الباحث من صدق الوثيقة أصالتها هويتها عن طريق النقد الخارجي ينقدهاالآن من الداخل أي ينقد المحتوى الوثيقة وصدق المعلومات، ويتحرر من نزاهة المؤلف وسمعته وقوة لفته.

3- محمد نوفل، فريال أبو كواد: التفكير والبحث العلمي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 225.

وتسمى هذه العملية بالتحليل التاريخي ثم تلي هذه العملية عملية التركيب وهي استخلاص التعليمات والقوانين والتي تكون هي الأساس والهدف عند كتابة تقرير البحث،(4) وتعتبر المادية التاريخية مثالا لهذا المنهج حيث استدعت دراسة نموذج النمط الرأسمالي وتفسير من قبل كارل ماكس إلى الرجوع وبحث كيفية تشكل أنماط الإنتاج في المراحل التاريخية من قبل، وكذلك دراسة "توبيي " Arnold Joseph Toynbee (18891975) للحضارات الإنسانية التي أوصلته إلى التعميم النظري الذي يفسر التغير بالتحدي والاستجابة، كذلك قبل هؤلاء لابد بالتذكير بالعلامة عبد الرحمان ابن خلدون حول دراسة للعصبية وكذلك لتطور المجتمع في مقدمته، حيث قام بالمراحل التاريخية التي ذكرناها سابقا.

ثانيا: المنهج الوصفي:

وهو البحث الذي يعتمد على دراسة الوقائع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوضعها وصفا دقيقا من خلال التعبير النوعي الذي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها أو التعبير الكمي الذي يعطي وصفا رقميا يوضح مقدرا وحجم الظاهرة. (5)

4- إبراهيم أبراش: المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص 141-146.

5- محمد نوفل، فريال أبو كواد: المرجع السابق، ص 219.

كما يعرفها بيست "Best" البحوث الوصفية تهتم بالظروف والعلاقات القائمة والممارسات الشائعة والمعتقدات ووجهات النظر والقيم والاتجاهات عند الناس والعمليات الجارية والتأثيرات التي يستشعرها الفرد، والتيارات والاتجاهات ويهتم البحث الوصفي في بعض الأحيان بدراسة العلاقة بين ما هو كائن وبين بعض الأحداث السابقة والتي تكون متحكمة في تلك الظروف(6) ومن ركائز المنهج الوصفي هو:

– ضرورة الاستعانة بأدوات المنهج الوصفي المختلفة والمماثلة في المقابلة الملاحظة الاستمارة وتحليل الوثائقوالسجلات.

– تحليل الدراسة كميا وكيفيا بدون دراسة المسببات التي كانت وراء حدوثها بينما يحاول البعض الآخر أنيتعرف على الأسباب التي أدت إلى حدوثها.

– قيام الدراسات الوصفية على أسلوب اختيار عينات تمثل المجتمع بهدف توفير الوقت والمال والجهد.

–ضرورة التجرد، والتقليل قدر الإمكان من التحيز في وصف عناصر المشكلة أو البحث أو تقويمها (7).

وعند استخدام الباحث للمنهج الوصفي فإنه عليه أن يمر بمرحلتين هما:

6– إبراهيم إيراش: المرجع السابق، ص 151.

7– أحمد عبد المنعم وآخرون: المرجع السابق، ص 26–27.

مرحلة الاستكشاف والصياغة، ومرحلة التشخيص والوصف المتعمق، وهما مرحلتان مرتبطتان ببعضهما ويعد المسح الاجتماعي ودراسة الحالة والبحوث السكانية التي تصف المواليد والوفيات و تحركات السكان وتوزيعهم (8)

ثالثا: المنهج التجريبي:

يعتبر المنهج العلمي من المناهج العامة في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية، ويتجلى في قدرة الباحث على توفير الشروط والظروف المناسبة بغرض إعادة إحياء ظاهرة أو حدث معين (9).

ويختلف المنهج التجريبي عن بقية المناهج لكونه أكثر تحكما من قبل الباحث وفي هذا الصدد يقول "بيفردج" "Beveridge" تتضمن التجربة أن يجعل الباحث حدثا معينا، يحدث تحت ظروف معروفة مع استبعاد جميع التأثيرات الخارجية على قدر الإمكان، وعلى أن يكون باستطاعة الباحث ملاحظة ذلك، بدقة حتى يمكنه اكتشاف العلاقات بين الظواهر المختلفة (10) ومن بين أهم خصائص المنهج التجريبي هي ما يلي:

- يقوم على الملاحظة المعمقة والمتحكم فيها من قبل الباحث في اختياره لصدق الفرضيات.

8- هشام مريزق: المرجع السابق، ص 36.

9- أحمد عبد المنعم وآخرون: المرجع السابق، ص 36.

10- إبراهيم الأبراش، المرجع السابق، ص 168.

- يهدف إلى كشف العلاقة البينية بين المتغيرات بين المتغير التابع والمستقل وذلك عن طريق اختيار مجموعتينمتكافئتين ومتساويتين مع جميع الجوانب باستثناء متغير واحد، وهو ما يسمى بالعامل التجريبي، الذي يمنعهمن إقحامه في المجموعة الضابطة.

- يتميز المنهج التجريبي بإمكانية خضوعه للضبط والتحكم.(11)

رابعا: المنهج المقارن

يقصد به إجراء مقارنات بين ظاهرات اجتماعية متعددة يقصد الوصول إلى حكم معين يتعلق بوضع الظاهرة المدروسة، وهذا الحكم مرتبط باستخلاص عناصر التشابه والاختلافات، وللمقارنة ثلاث مستويات مختلفة من بينها المستوى التاريخي ويتمثل في دراسة الظاهرة في أزمة مختلفة تراثية المستوى المكاني يقارن هنا الباحث الظاهرة في مكان معين مع نفس الظاهرة في مكان مختلف و المستوى الأخير والمتعلق بالبعد المكان والزمان ويقصد به أن يقوم الباحث بمقارنة مكان تواجد الظاهرة في زمن ومكان محدد مع تواجدها في أمكنة وأزمنة متباينة. (12)

11- أحمد عبد المنعم وأخرون: المرجع السابق، ص 37.

12- عبد الغني عماد: منهجية البحث في علم الاجتماع، الإشكاليات، التقنيات، المقارنات، دار الطبيعة للطباعة والنشر، لبنان، 2007، ص 93.